القدس بين محاولات التهويد وإجراءات المواجهة

أ. د. إبراهيم خليل العلاف
أستاذ التاريخ الحديث، مركز الدراسات الإقليمية/ جامعة الموصل

مستخلص البحث

فضلاً عن الأهمية الدينية للقدس، فان لها أهميتها التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ففلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي وسكانها عرب ولغتهم عربية وعاداتهم عربية، وموقع فلسطين من خريطة الوطن العربي موقع القلب من الجسد الحي. وقد أدرك الغرب الاستعماري قيمة فلسطين، فزرع الكيان الصهيوني ليفصل المشرق عن مغربه، ويحول دون تحقيق التواصل العربي. ومنذ إنشاء هذا الكيان، والمحاولات المحمومة لخلق واقع جديد في القدس مستمرة، ويجري ذلك في صورة متغيرات جغرافية وسكانية يأمل الصهاينة في النهاية إلى تهويدها وجعل مصيرها كمصير مدينة يافا العربية العزيزة التي اختفت من الخرائط وحلّت محلّها مدينة تل أبيب.

مدخل

واجهت القدس ثلاث ضربات مؤلمة كانت الضربة الأولى احتلال ما عرف بالقدس الغربية في ١١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٩، والضربة الثانية أن معظم قضاء القدس والبلديات المحيطة بها وقعت بأيدي الصهاينة وأصبحت القدس لا تضم إلا مركز المدينة أو المدينة القديمة وما حولها. وتلقت القدس الضربة الثالثة بعد أن فقد الفلسطينيون أكثر من نصف المدينة ومعظم قضائها عندما فقدت القدس مكانتها كعاصمة وأدى ذلك إلى تحول شرقي القدس من مدينة كبيرة إلى قرية.

وفي حرب حزيران ١٩٦٧، وبعدها صدر قرار إسرائيلي بضم أراضي القدس وعدّها أراض إسرائيلية تاركاً باقي الضفة الغربية باعتبارها أراضِ محتلة وقام الكيان الصهيوني بخطوات عديدة لتهويد القدس وتمثلت الخطوة الأولى بالضم واعتبار المواطنين الفلسطينيين مواطني مدينة القدس مجرد أجانب يقيمون في الكيان الصهيوني بموجب قانون الدخول للكيان الصهيوني لسنة ١٩٥٤ أي أنها اعتبرت أن كل المواطنين الفلسطينيين في القدس قد قرروا بشكل جماعي وفي ليلة واحدة الدخول إلى الكيان الصهيوني متجاوزة الاعتراف بحقيقة أن الجيش الصهيوني هو الذي دخل إلى هذه المدينة محتلاً.

وهكذا وجد أبناء القدس بحاجة للحصول على حق الإقامة في وطنهم. ثم جرت عملية توسيع حدود بلدية القدس وانطلق الصهاينة في محاولات يتابعها بحث لتغيير الوضع الذي كان قائماً في القدس وكذلك من خلال إجراء تغييرات جغرافية وسكانية استهدفت ما أسمته الباحثة البريطانية كيت ماجواير (أسرلة) القدس التي قدمت دراسة قيّمة حول الخطوات الإسرائيلية للاستيلاء على القدس. وتقول أن الصهاينة يعملون لتغيير طابع مدينة القدس بحيث تصبح يهودية من الناحيتين السكانية والإدارية.

يتناول البحث إضافة إلى المقدمة مباحث منها القدس معناها موقعها مكانتها.. الحفاظ على هوية القدس العربية الإسلامية، عروبة القدس والقدس ومحاولات التهويد. ويؤكد بأن الفلسطينيين والعرب قاوموا ولايزالون يقاومون محاولات التهويد وكانت إجراءاتهم الأولى إنشاء الهيئة الإسلامية العليا التي استندت إلى فتوى شرعية تقول أنه إذا احتلت أراضي المسلمين من قبل غير المسلمين فعلى المسلمين أن يديروا شؤون أنفسهم بأنفسهم ويقيناً أن الفلسطينيين منذ ١٩٦٧ يخوضون معارك عنيفة من أجل الاحتفاظ بمؤسساتهم الثقافية والإجتماعية في القدس ويعملون بكل قوة لمنع

إلحاق هذه المؤسسات بالمؤسسات الإسرائيلية وعلى العرب مساندتهم في هذا الاتجاه وما هذا المؤتمر إلا إحدى هذه الوسائل التي تؤكد أهمية النضال من أجل الاحتفاظ بالقدس مدينة عربية إسلامية.

تشغل القدس، مكانة متقدمة في الفكر والوجدان العربيين منذ زمن بعيد، ويمكن أن نتلمس ذلك في ما ورد من آيات قرآنية وأحاديث نبوية بحق القدس ومسجدها الأقصى[١]، وفي كتب فضائل القدس، الكثير من الإشارات على أهمية القدس. وقد ارتفعت مكانة القدس باتخاذها القبلة الأولى، إذ لما بنى المسجد الأول في المدينة، كانت وجهته إلى بيت المقدس ثم جعلت القبلة إلى الكعبة، وحبذ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، زيارة بيت المقدس قائلا: (وصلاة هناك تعادل عشرة آلاف في غيرها)[٢]. وقد كان لأحاديث الرسول الكريم دور كبير في ترسيخ حرمة القدس في ضمير الأمتين العربية والإسلامية.

فضلا عن الأهمية الدينية للقدس، فان لها أهميتها التاريخية، والجغرافية، والتجارية، والعسكرية. ففلسطين جزء لايتجزأ من الوطن العربي، وسكانها عرب، ولغتهم عربية، وعاداتهم عربية، وموقع فلسطين من خريطة الوطن العربي، موقع القلب من الجسد الحي، وقد أدرك الغرب الاستعماري قيمة فلسطين فزرع إسرائيل لتفصل بين المشرق العربي والمغرب العربي، وتحول دون تحقيق الوحدة بين العرب[٣].

القدس: معناها، موقعها، مكانتها

جاء في لسان العرب أن معنى التقديس: تنزيه الله عزوجل، فحينما نقول ننزه الله تعالى عن كذا، فهي كلمة مؤدبة تعني أن الله عزوجل منزه عما يحيطه أو يشينه من صفات.. لذلك فهو القدس القدوس.. و القدس والقدوس اسمان من أسماء الله تعالى. وبيت المقدس يعني المكان الذي يتطهر فيه

الإنسان من الذنوب[٤]. وفي لغة العرب (القدس) معناها (الإناء الذي يحمل فيه الماء للطهارة)، ومنه اخذ بيت المقدس معناه (البيت المطهر) أو (الأرض المطهرة)[٥]. والمسجد الأقصى هو بيت المقدس، ونسبة الأقصى ترجع إلى انه وسط الدنيا لا يزيد شرقه على غربه ولا ينقص. وفي مدينة القدس مكان أمين مقدس فيها منذ القدم، وهو قبة الصخرة[٦].

تقع القدس على خط عرض ١٢/٣١ درجة شمالا وعلى خط طول ١٢/٣٥ درجة شرقا وتبلغ مساحتها ١٩٢٣١ كم٢. وقد أقيمت المدينة على أربعة جبال هي: جبل سوريا، وجبل اكرا وجبل صهيون وجبل تبريتا. وارتفاع المدينة عن سطح البحر يبلغ ٢٥٩٨ قدما. وقد انعم الله على مدينة القدس وأضفى عليها جمال الطبيعة وطيب المناخ ووفرة الثروات والخيرات، فأصبحت بحق، زهرة المدائن[٧].

وبشان مكانتها التاريخية النضالية، فان منزلة القدس ارتفعت باتخاذها القبلة الأولى قبل الكعبة وبقيت كذلك حتى السنة الثانية للهجرة عام ٦٤٢م ويعد حرمها ثالث الحرمين الشريفين. وقد فتحت القدس سنة ١٧ هجرية (٦٣٧م) وقد زارها الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب ﷺ وأرضاه، وقرر شروط الصلح مع أهلها وكان لهذه الزيارة أثرها الكبير خاصة، وأنها تعبر عن منزله القدس الشريفة وقد عين الخليفة (عبادة بن الصامت) ليكون قاضيا فيها ويدل هذا التعيين على وجود عربي كبير فيها.. وتشير الدراسات التاريخية المتعددة أن من العشائر العربية التي سكنت فلسطين قيل الفتح (جذام ولخم) وحين زارها الأسقف اركولف سنة ٥٠ هـ (٧٦٠م) وجد فيها مسجدا كبيرا يتسع لثلاثة آلاف مصل. وقد حظي بيت المقدس باهتمام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ثم الخلفاء الأمويين ومن ذلك أن الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان بنى فيها قبة الصخرة وقد بدأ ببنائها سنة ٧٢هـ (٦٩٢م) وكان في بنائه لقبة الصخرة تأكيدا على الهوية العربية الإسلامية

للدولة التي كان على رأس قيادتها، وكان معظم الخلفاء الأمويين يحرصون على زيارة بيت المقدس حتى أن سليمان بن عبدالملك فكر باتخاذها عاصمة له[٨].

وعندما انتقل مركز الحكم إلى العراق بمجئ العباسيين، وجدت القدس عناية خاصة، فقد زارها الخليفة أبو جعفر المنصور مرتين الأولى سنة ١٤٠هـ (٧٧٩م)، وأمر بتوسيع ارض المسجد، واهتم الخليفة المأمون بالحرم القدسي الشريف، وفي عهده كان تعمير الباب الشرقي والباب الشمالي والتفت الفاطميون أبان حكمهم لفلسطين إلى القدس وكانت في عهدهم قبلة العلماء والتجار والحجاج وقد شهد القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) نشاطا في الكتابة عن (فضائل القدس)، ويعود هذا إلى بدايات ظهور الأطماع الاستعمارية الصليبية وازدياد حرمتها وقدسيتها حتى أنها صارت رمزا للجهاد والتحرير بالنسبة للمسلمين كافة[٩].

لقد أدرك العرب المسلمون، أن الغزو الصليبي لفلسطين الذي ابتدأ سنة ١٠٩٥ ميلادية –يعد امتداد للإطماع والغزوات البيزنطية. وقد ابتدأ التحرك الرسمي لمواجهة هذه الأطماع الصليبية بدا في عهد عماد الدين زنكي، صاحب الموصل وحلب، ثم جاء المجاهد نور الدين زنكي ابن عماد الدين فأكد على حرمتها وأشار إلى إن ذلك لا يتحقق إلا بالوحدة الإسلامية، وارتفع صوت الجهاد زمن صلاح الدين الأيوبي وصارت القدس والأقصى شعار صلاح الدين لتكوين جبهة عربية إسلامية تمتد من تكريت إلى الموصل فحلب فدمشق فالقاهرة. وجاءت معركة حطين التحريرية للقدس سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧م) لتشير إلى القدس، وبفتح القدس بلغ صلاح الدين أوج الجهاد. وفي أول صلاة جمعة بعد الفتح، وبحضور السلطان صلاح الدين نفسه، واحتشاد الناس في كل مكان بدا الخطيب ابن المزكي قوله: ((فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)). ومما قاله

الخطيب: إشارة للأقصى: فهو موطن أبيكم إبراهيم، ومعراج نبيكم محمد، وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها في ابتداء الإسلام، وهي مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ومقر الرسل ومهبط الوحي، وهو في ارض المحشر وصعيد المنشر، وهو في الارض المقدسة التي ذكرها الله في الكتاب المبين، وهو المسجد الذي صلى فيه رسول الله بالملائكة المقربين.. الجهاد فهو أفضل عباداتكم.. انصروا الله ينصركم)[١٠].

واستمرت القدس سببا في إذكاء روح الجهاد.. وخلال العهد العثماني ١٥١٦- ١٩١٨ عادت القدس مرة أخرى لتصبح ساحة للصراع بين العرب والمسلمين من جهة والمستعمرين من جهة أخرى.. الذين بدأوا منذ أواخر القرن التاسع عشر يعملون من اجل التسلل إليها.. وفي نيسان ١٩٢٠ وضع مجلس الحلفاء الأعلى، فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وجاء موعد تحقيق الانكليز للوعد الذي قطعوه لقادة الحركة الصهيونية بوعد بلفور لإنشاء (وطن قومي لليهود في فلسطين).. وقد تم تنفيذ وعد بلفور في ظل وثيقة سميت (صك الانتداب) أقرتها عصبة الأمم، سنة ١٩٢٠، وبعدها ساعدت بريطانيا جموعا كبيرة من اليهود على الهجرة إلى فلسطين، وقام الفلسطينيون بثورات عديدة سنة ١٩٢٠ و١٩٢٩ وفي سنة ١٩٣٥ قام الشيخ عز الدين القسام بانتفاضة مسلحة ضد الوجود البريطاني- الصهيوني. وفي سنة ١٩٣٦ ثار الفلسطينيون ثورتهم الكبرى وفي عام ١٩٤٧ أوصت الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولتين: عربية ويهودية وتدويل منطقة القدس.

عروبة القدس[١١]

يتحدث احد أبناء القدس وهو المرحوم جبرا إبراهيم جبرا، عن مدينته التي عاش فيها ردحا من الزمن قبل أن تقع تحت الاحتلال الصهيوني فيقول[١٢]: ((أن القدس كانت في الأصل حتى أواخر القرن التاسع عشر هي المدينة المسورة بأبوابها السبعة وأنها بدأت تفيض شيئا فشيئا بالضواحي المحيطة بها من جهاتها الأربع، وقد اخذ هذا التوسيع بالتسارع بعد هدم قسم من السور عند باب الخليل سنة ١٨٩٨، فكان ذلك تحقيقا للاتصال العضوي بين امتدادات المدينة وقسمها المسور)). ويضيف المرحوم جبرا إلى ذلك قوله: (كان أقدم امتداد للمدينة خارج السور يتمثل في محلة النبي داود جنوبي المدينة، وهي تعود إلى بضعة قرون خلت، غير أن امتداد المدينة الأكبر جعل يتكامل بين (١٩٢٠ و١٩٨٤ إلى الشمال والغرب والجنوب في آن واحد).

أما القدس الجديدة، فقد نشأت أجزاءها امتداد من شارع يافا من جهة ومن جهة أخرى امتداد من شارع مأمن الله ومقبرة مأمن الله وشارع القديس يوليان ولاسيما بعد انجاز بناء جمعية الشبان المسيحية في شارع القديس يوليان في الثلاثينات الأولى وبذلك أقيمت الصلات المباشرة بين المناطق المتباعدة من القدس الجديدة وبين البلدة القديمة نفسها. وفي أواسط القرن التاسع عشر كان الألمان قد أنشأوا كولونية الألمان، وتليها كولونية اليونان، وعلى بضعة كيلومترات من السور ثم نشأت أحياء وأديرة هنا وهناك تابعة للكاثوليك والروم والروس الارثودكس وغيرهم، ونشأت عندها كذلك بعض الأحياء اليهودية بأموال من احد اليهود الانكليز هو (موسى مونتفيوري). وكانت مناطق البقعة الفوقانية والطالبية والقطمون منذ ذلك الوقت حتى أواخر العشرينات من القرن أماكن نزهة واصطياف لأهالي القدس يملكها أفراد من القدس وبيت لحم غير أن هذه كلها في الثلاثينات من القرن الماضي كانت قد خططت وتم عمرانها ضمن رقعة فسيحة واحدة تحط

بالمدينة السور ثم معظم نواحيها وبذلك تم نشوء القدس المعاصرة بشقيها القديم والجديد(١٣).

أن ما يجب أن يقوله المرء عن القدس يذكر الأستاذ جبرا هو أنها مدينة عربية عريقة في عروبتها رغم أن الصهاينة احتلوا نصفها الجديد، فنصفها الجديد المحتل عربي عروبة نصفها القديم، وعروبة بقية فلسطين المحتلة وعندما يتحدث احد أبناء القدس عن مدينته يستحيل عليه أن يقصر الكلام عن المدينة المسورة وما نشأ حولها من بناء وتوسيع في فترة ما بعد نكبة ١٩٤٨، فالقدس في أرجاءها كلها وحدة عضوية ليس من الحق والمنطق أن تشطر هذا الشطر الخبيث الذي ابتدعه الإسرائيليون(١٤).

القدس ومحاولات التهويد

يدعى الإسرائيليون، أن القدس هي عاصمة لهم، لذلك فهم يعمدون كل يوم من اجل خلق واقع جديد، ويجري ذلك في صورة تحولات جغرافية وسكانية تؤدي في النهاية إلى تهويد القدس. وبذلك يكون مصيرها مثل مصير مدينة يافا الفلسطينية الذي اختفت من الخرائط وظهرت مكانها مدينة تل أبيب الصهيونية. إن ارض فلسطين ارض وقف إسلامي لإتباع ولا تشترى ومن وجهة نظر قومية فهي جزء من ارض الأمة العربية ولا يحق لأحد أن يتنازل عن جزء منها. إن القدس التي نتحدث عنها هي القدس بكاملها بشرقيتها وغربيتها: بالطالبية والشيخ جراح.. هذه كلها القدس(١٥).

لقد واجهت القدس ثلاث ضربات مؤلمة كانت الضربة الأولى هي احتلال ما عرف بالقدس الغربية من قبل العصابات الصهيونية في ١١كانون الأول ١٩٤٩. والضربة الثانية أن معظم قضاء القدس والقرى والبلدان المحيطة وقعت أيضا بأيدي الصهاينة وأصبحت القدس تضم فقط قلب المدينة والمدينة القديمة وما حولها من أحياء، وتلقت القدس الضربة

الثالثة بعد أن فقد الفلسطينيون أكثر من نصف المدينة ومعظم قضائها عندما فقدت القدس مكانتها كعاصمة وادي ذالك الذي تحول القدس (شرقي القدس) من مدينة كبيرة إلى قرية كبيرة أو مدينة صغيرة ولكن ولان القدس هي بالفعل عاصمة الفلسطينيين ونظرا لمكانتها الدينية عربيا وإسلاميا فقد عادت هذه المدينة لتأخذ مكانها الذي يتناسب مع تاريخها لكن الكيان الصهيوني احتل (القدس الشرقية) في حرب ٥ حزيران عام ١٩٦٧ وقد قررت السلطات الإسرائيلية أن تضم أراضي القدس ويعدها أراضي إسرائيلية تاركة باقي الضفة الغربية باعتبارها أراض محتلة.وبعد الاحتلال قامت إسرائيل بخطوات عديدة لتهويد المدينة بدأت الخطوة الأولى بالضم واعتبرت الفلسطينيين مواطني مدينة القدس مجرد أجانب يقيمون بموجب قانون صدر سنة ١٩٥٤ أي أنها اعتبرت أن كل المواطنين الفلسطينيين في القدس قد قرروا بشكل جماعي وفي ليلة واحدة الدخول إلى الأراضي المحتلة متجاوزة الاعتراف بحقيقة أن الجيش الاسرائيلي هو الذي دخل إلى هذه المدينة محتلا وهكذا وجد أبناء القدس أنفسهم يعاملون كأجانب في مدينتهم ويحصلون على حق الإقامة في وطنهم ولكنهم ليسوا مواطنين في هذه المدينة بموجب القوانين الاسرائيلية، ثم بدأت السلطات الاسرائيلية مباشرة بعد عام ١٩٦٧ بتوسيع حدود بلدية القدس وضمت إليها اكبر مساحة من الأرض وبأقل عدد من السكان ما أمكن ذلك وبالتالي وسعت الحدود البلدية من ٦ كم^{٢} إلى بلدية مساحتها ٧٢ كم^{٢} وعدتها كلها جزء من الارض المحتلة[١٦]. وانطلقت في محاولات متواصلة لتغيير الوضع القائم كذلك من خلال إجراء تغييرات جغرافية وسكانية تستهدف تهويد القدس أو (اسر لتها) على حد تعبير الكاتبة البريطانية (كيت ماجواير) التي قدمت دراسة قيمة حول (الخطوات الإسرائيلية للاستيلاء على القدس) وتقول ماجواير ان الاسرائيليين يعملون لتغيير طابع مدينة القدس بحيث تصبح

يهودية من الناحيتين الإدارية والسكانية[١٧]. كما بدأ الإسرائيليون بتوسيع حدود بلدية القدس وضم أراضي جديدة إليها وعدها جزء من كيانهم وقد ارتفع عدد اليهود لكي يصبحوا أكثرية. وتشير بعض الدراسات إلى أن عدد اليهود في القدس وصل إلى ٤٣٣ أي بنسبة ٧٤% وتخطط السلطات الإسرائيلية لكي يصل عدد اليهود المهاجرين إلى مليون يهودي في القدس يقابله (٢٠٠) ألف فلسطيني[١٨] لقد اصدر الكنيست في ٣٠ تموز ١٩٨٠ قانونا ينص على أن القدس الموحدة هي عاصمة إسرائيل، وان القدس هي مقر (رئيس الدولة) والكنيست والحكومة والمحكمة العليا بالرغم من شجب وإدانة الأمم المتحدة والمحافل الدولية لهذا القانون فانه ظل المنطلق في تحديد سياسات الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة منذ تشريعه حتى الوقت الحاضر وقد اتخذت حكومة مناحيم بيغن (١٩٧٧-١٩٨٥) منه مرتكزا لمشاريعها الاستيطانية في القدس والتي يمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات:

١- المشاريع المستهدفة للأحياء العربية في القدس نفسها بما يحقق طغيان العنصر اليهودي على الطابع العربي الإسلامي للمدينة وتحقيق التفوق العسكرية المستند لسياسة التطويق والعزل.

٢- توسيع المدينة وربطها مع المستوطنات المقامة حولها على أراضي القرى العربية القريبة من القدس في شعفاط والعيسوية والعيزرية وابو ديس وبيت صفافا شرفات وصر باهر وكذلك التدرج في قضم المدينة بالاتجاه شمالا وشرقا وجنوبا بمصادرة المزيد من الأراضي والتوسع في بناء المستعمرات بهدف عزل القرى العربية وتفكيك أصلها وعزلها عن مركز مدينة القدس وباقي المدن وقرى الضفة الغربية ولهذا السبب تم الاستيلاء على قرى في سكاريا وارطاس وبيت ساحور.

٣- استكمال عملية التهويد الشاملة للقدس الشرقية من خلال إقامة الحي اليهودي فيها وهذا الحي شكل حزاما من البنايات الحجرية المصممة

على أسس عسكرية من طرف الكنائس والبيوت المتبقية في حارة الارمن من الجهة الغربية للقدس إلى المسجد الاقصى في جانبها الشرقي وربط الحي اليهودي مع مجموعة الطرق الالتفافية (الاستيطانية) اليهودية في كل أحياء وحارات المدينة القديمة وصولا إلى السيطرة الكاملة على الشطر الشرقي من القدس في نهاية المطاف[١٩].

وفي عهد حكومة شيمون بيريز – اسحق شامير الثنائية ١٩٨٥–١٩٩٢ اتسمت السياسة الإسرائيلية تجاه القدس بالجمود بفعل الانتفاضة وبدء ماسمي بمؤتمر مدريد للسلام في ٣٠ تشرين الأول–أكتوبر ١٩٩١ لكن هذا لم يمنع من مواصلة بناء المزيد من المستعمرات وتوسيع القائم منها واستكمال تهويد القدس بهدف إخراجها من جدول أعمال المفاوضات وإلزام الطرف الفلسطيني بالاعتراف بسياسة الأمر الواقع عند بحث مسالة القدس فيما سمي بمفاوضات الوضع النهائي[٢٠].

وفي ٢١ تشرين الأول ١٩٩٣ سن الكنيست في عهد حكومة اسحق رابين الثانية ١٩٩٢– ١٩٩٦، قانونا يقضي بالتزام الحكومة بالحصول على موافقة ثلثي أعضاء الكنيست أي بموافقة ٨٠ عضوا من مجموع ١٢٠ عضوا (لإجراء أي تعديل على حدود مدينة القدس أو مكانتها). وقد جاء ذلك القانون كما قيل في حينه من اجل الحيلولة دون إقدام أية حكومة على الاستجابة للضغوط الدولية المحتملة، كما اقر الكنيست في ١٠ أيار–مايو (١٩٩٤ قانونا آخر يقضي بان تبقى ((مدينة القدس موحدة إلى الأبد تحت سيادة إسرائيل)). وفي مطلع ١٩٩٥ أفصحت حكومة رابين عن عزمها مصادرة أكثر من (٢٢) هكتارا من أراضي الفلسطينيين في (القدس الشرقية) لبناء مجمع سكاني لليهود ومركزا للشرطة. ولم يستطع مجلي الأمن أن يحول دون عملية المصادرة الواسعة النطاق هذا بفضل (الفيتو) الأمريكي

في ١٧ ايار ١٩٩٥ حيث بررت المندوبة الأمريكية آنذاك مادلين أولبرايت الفيتو الأمريكي بالقول: (إننا لم نصوت ضد القرار لأننا نؤيد مصادرة إسرائيل أراضي القدس، ولكن حكومتي اضطرت لمعارضة القرار لان مجلس الأمن علية أن يقول رأيا في الوضع الدائم للقدس بينما يتحدد هذا بالمفاوضات بين الإطراف المعنية بالقضية)[٢١].

وجاءت حكومة بنيامين نتنياهو أيار- مايو(١٩٩٦-١٩٩٩) لتدعو الكنيست لسن قانون يقضي بعدم جواز الانسحاب من أي شبر من القدس إلا بعد أجراء (استفتاء شعبي) على ذلك وان لاعودة إلى خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧. وعند فوز نتنياهو في الانتخابات قال: (لقد تم انتخابنا حتى نسهر على القدس) و(إن القدس لن تكون موضع تفاوض) و (لااحد يريد إعادة بناء سور برلين في القدس) و(سوف تستمر القدس غير مقسمة وتحت سيادتنا وان نعيد تقسيم القدس)[٢٢].

وسار ايهود باراك على نهج من سبقه بعدما وصل إلى السلطة (٦ حزيران ١٩٩٩-١٠ كانون الأول- ديسمبر ٢٠٠٠)، مؤكدا على (أن القدس عاصمة إسرائيل الأبدية). وقد تابع باراك سياسة تهويد القدس وكان يردد بان القدس (قلب إسرائيل) و(إسرائيل) لايمكن أن تعيش بقلب منقسم[٢٣].

وفي عهد شارون (٢٠٠١) استمرت عملية التهويد بأبشع صورها ومن ذلك أن لجنة امن القدس التي شكلتها الحكومة الاسرائيلية، أوصت بسلسلة من الإجراءات ضد مدينة القدس والأقصى منها منع البناء في المسجد الأقصى وساحته ومنع دخول مواد البناء إلى ساحة الحرم وايقاف خطب التحريض في يوم الجمعة ضد الاحتلال وهذا فضلا عن سياسة القتل والتشريد وجرف المزارع العائدة لأهلنا في فلسطين وحتى كتابة هذه السطور فان عملية التهويد مستمرة وحكومة بنيامين نتنياهو الحالية تواصل العملية

ولعل من ابرز ما اقدمت عليه منع أبناء القدس من الإعداد للاحتفال بمدينتهم عاصمة للثقافة العربية.

إجراءات الحفاظ على هوية القدس العربية الإسلامية

قاوم الفلسطينيون محاولات التهويد واخذوا يدافعون عن عروبة مدينتهم وكانت خطوتهم الأولى إنشاء (الهيئة الإسلامية العليا) التي انطلقت في عملها استنادا إلى فتوى شرعية مضمونها (انه إذا احتلت أراضي المسلمين من قبل غير المسلمين، فعلى المسلمين أن يديروا شؤون أنفسهم بانفسهم). وبناء على ذلك تم إنشاء المدارس الشرعية والمحاكم الشرعية. وقد نجحوا في إخراج الجيش الاسرائيلي من المسجد الأقصى ومن دوائر الأوقاف كما انشأوا مدارس الأيتام الإسلامية وأسسوا جمعيات (المقاصد الخيرية الإسلامية) التي فتحت بضعة مستشفيات ويناضل الفلسطينيون من اجل أن يبقوا مدينتهم ويناضل الفلسطينيون من اجل أن يبقوا مدينتهم عربية إسلامية ويدرك الإسرائيليون أن كل محاولاتهم للاستيلاء على بيوت داخل البلدة القديمة باءت بالفشل لذلك يسعى الإسرائيليون لإقامة مستوطنات خارج مدينة القدس ليحاصروا بها المدينة[٢٤].

تحدث ابن القدس والمسؤول عن ملفها المرحوم فيصل الحسيني عن (القدس منذ حزيران ١٩٦٧) في محاضرة ألقاها في ٢٢ كانون الأول- ديسمبر ١٩٩٧ فقال: (إن معارك عنيفة خاضها الفلسطينيون من اجل الاحتفاظ بمؤسساتهم الثقافية والاجتماعية في القدس وعملوا بكل قوة لمنع إلحاق هذه المؤسسات بالمؤسسات الإسرائيلية وقد مكنت هذه المعارك والمواجهات الفلسطينيين من الحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية في القدس كما هي، ولم تسمح بان تكون اسرائيل هي المسيطرة. فالتجار الفلسطينيين رفضوا الانضمام إلى الغرفة التجارية (الاسرائيليين). كما احتفظ

الفلسطينيون بمؤسساتهم الصحية والدينية والتعليمية وقد توجت كل هذه الجهود في التسعينات من القرن الماضي، عندما أصبح الفلسطينيين عنوان سياسي بمدينة القدس هو (بيت الشرق) استكمالا للتواجد الفلسطيني في هذه المدينة. وأضاف الحسيني يقول أن أبناء القدس لايزالون يقاومون سياسة العزل والتهويد وصد عملية التقدم الاستيطاني في البلدة القديمة وينظم الشبان في لجنة القدس وفروعها وهم في صراع دائم مع الإسرائيليين الذين ماانفكوا يعملون من اجل توسيع حدود بلدية المدينة لتصبح ٧٢كم^{٢} والهدف هو جلب المزيد من المستوطنين إلى مدينة القدس ومنافسة الأغلبية العربية فيها(٢٥).

ويعتمد الإسرائيليون سياسة العزل والطرد..عزل القدس عن محيطها العربي والدولي، وطرد السكان العرب وترحيلهم وهدم مساكنهم وتخريب مزارعهم وتقيم السلطات الصهيونية نقاط تفتيش حول المدينة لمنع كل من لايحمل تصريحا من الدخول، وحرم أبناء الضفة الغربية وغزة من زيارة المدينة المقدسة ومنع الفلسطينيون من أعمار محددة من الصلاة في المسجد الأقصى(٢٦).

إن القدس مازالت تتعرض منذ احتلالها سنة ١٩٦٧ لأكثر الحملات المبيتة شراسة لمحو صبغها العربية الإسلامية ولم يخفف من غلواء تلك الحملات ما يسمى بمفاوضات السلام، فبعد مدريد ١٩٩١ واوسلو ١٩٩٣ تفاقم المخطط الإسرائيلي واتسعت (عملية ألاسرلة) فالاستيطان جار على أشده وابتلاع المدينة مازال قائما، فعلى سبيل المثال بلغت الأراضي المصادرة بعد اوسلو ١٩٩٣ نحو ٤٥ ألف دونم(٢٧). لقد عمل الإسرائيليون على تكوين جدار استيطاني سكاني على شكل قوس يحيط بمدينة القدس الشرقية ويتصل من خلال قاعدتي بالقدس الغربية ومد السنة استيطانية من هذا القدس إلى القدس الغربية حتى يقسموا القدس الشرقية إلى جزر منفصلة

ثم يأتوا إلى هذه الجزر ويزرعوا في داخلها نقاط استيطانية كي يتم التهام هذه المدينة قطعة قطعة بعد تغيير معالمها السكانية وخلق أغلبية عديدة من السكان اليهود وذلك من خلال بناء مستعمرات تستوعب المهاجرين اليهود على الارض العربية التي تم احتلالها بحيث يعمل ذلك على تكريس الوجود الإسرائيلي وضرب أية محاولة لإقامة دولة عربية فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس(٢٨).

خاتمة:

إن القدس العزيزة، مازالت تتعرض منذ احتلالها سنة ١٩٦٧ للتهويد على الرغم من أن أحدا على المستوى الدولي، لم يعترف بضم القدس إلا القلة القليلة التي اعترفت بالقدس عاصمة لإسرائيل، وهذا يتطلب من العرب ومن المسلمين أن يرتقوا إلى مستوى المسؤولية، ويعملوا على كافة الأصعدة لمنع إسرائيل من التهويد، والسعي باتجاه الحفاظ على هوية القدس العربية بشتى الوسائل الممكنة ويقينا أنهم قادرون على ذلك إن أرادوا.

Al–Quds Between Judaization Attempts And Confrontation Measures

Prof. Dr. Ibrahim Khalil Al – Allaff

Head of Regional Studies Center, Mosul University.

Absrtract

Al–Quds has, in addition to the religious importance, a historical, economic, social and cultural significance. Palestine is inseparable part from the Arab Homeland, its inhabitants are Arabs, their Language is Arabic and of Arab traditions. Its position in the imperialistic West realized the value of Palestine, thereby, it planted the Zionist entity to separate the Arab East from the West to hinder the Arab connection. Since this entity has been established, there were continued feverish attempts to create a new status in Al – Quds by geographic and demographic variables to judaize it as what happened in the dear city of Yafa which has been concealed and then became Tel – Aviv city.

Al – Quds was exposed to three painful beats, the first, is the occupation of what is known "the Western Quds" in ١١ December ١٩٤٩. The second, is most of the district of Al – Quds and the surrounding towns fell under the Zionist control and Al – Quds included only the center and the old city and what is surrounding it. The third, when the Palestinians lost more than half of the city and most of its district as Al – Quds lost its position as a capital and the East of Al – Quds has been changed from a big city into a village.

During and after the war of June ١٩٦٧; the Israeli resolution, on Al – Quds accession to Israel and to consider it Israeli Lands leaving the West bank as occupied lands, has been issued. The Zionist entity made different steps to judaize Al – Quds, the first is the accession and considering the Palestinian citizens in Al – Quds

as foreigner in the Zionist entity according to Israeli entering law in ١٩٥٤, that is, it considered that Palestinians in Al – Quds decided collectively and in one night to enter to the Zionist entity, exceeding the fact the Zionist army entered Al – Quds as an occupation force.

So, the native people of Al – Quds were in need of residence right in their country. Then the borders of Al – Quds municipality have been enlarged and the Zionists tried to change the status quo in Al – Quds by geographic changes aimed at what is named by the British researcher Kate Marjorie "Israelization" of Al – Quds who made an important study about the Israeli steps to seize Al – Quds. She said that the Zionists are going to change the character of Al – Quds to judaize it in both demographic and administrative aspects.

The research approached themes such as, Al – Quds: its meaning, position and importance.. maintaining Islamic and Arab identity of Al – Quds, the Arabism of Al – Quds and Al – Quds and judaization attempts. It affirmed that the Palestinians and Arabs have resisted and they are still confronting the judaization and their prime measure was establishing the high Islamic institution which depended on legal opinion: if the Muslim territories are occupied by non – Muslims, then the Muslims must manage their affaires by themselves. Definitely, that Palestinians since ١٩٦٧ engaging in severe battles to protect their cultural and social foundations in Al – Quds and they are working intensively to prevent annexing these foundations to the Israeli foundations. Arabs must support them in this way. This conference is one of these means that assert the importance of struggle for keeping Al – Quds as an Islamic and Arab City.

الهوامش والمصادر

(١) انظر: ابراهيم خليل العلاف، خطورة المخطط الصهيوني لتهويد القدس، جريدة الحدباء، ١٥ كانون الثاني ٢٠٠١.
(٢) للتفاصيل أنظر: عبد العزيز الدوري، القدس في التاريخ الاسلامي، في: هيثم الكيلاني وآخرون، القدس والحال الفلسطيني وقراءات في الأمن القومي العربي، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمّان، ١٩٩٩، ص ١١٧.
(٣) خيرالله طلفاح، القدس عبر عصورها التاريخية، بغداد،١٩٨١، ص ٤.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة قدس.
(٥) طلفاح، المصدر السابق، ص ص١٩-٢٠.
(٦) المصدر نفسه، ص ٢٠.
(٧) طلفاح، المصدر السابق، ص١٢.
(٨) الدوري، المصدر السابق،ص ص١١٧-١٢٠.
(٩) المصدر نفسه، ص ص١٢٠-١٢٢.
(١٠) للتفاصيل أنظر: الدوري، المصدر السابق،ص ص١٢٢-١٢٥
(١١) انظر: ابراهيم خليل العلاف، تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر، (الموصل، ١٩٨٧) ص ص ١٤٤-١٥٢.
(١٢) انظر مقالته (القدس) في مجلة الرواد، بغداد، السنة(٥)، العدد (٦)، ٢٠٠٠، ص ٢٨.
(١٣) المصدر نفسه، ص ص٢٨-٢٩.
(١٤) المصدر نفسه، ص ٢٩.
(١٥) المصدر نفسه، ص ص٢٩-٣٠.
(١٦) للتفاصيل أنظر: فيصل الحسيني، القدس منذ حزيران ١٩٦٧في هيثم الكيلاني وآخرون المصدر السابق ص ١٥٠.
(١٧) كيت ماجواير، الخطوات الاسرائيلية للاستيلاء على القدس، أوراق عربية رقم (٧)، مركز الدراسات العربية، (لندن، ١٩٨١)، ص ٦.
(١٨) جودت العاني، ((الصهاينة يهودون القدس.. فلماذا الصمت العربي الاسلامي؟!))، جريدة الجمهورية ٢٧ تشرين الثاني ٢٠٠٠.
(١٩) للتفاصيل أنظر: عبد الله كنعان، القدس من منظور اسرائيلي، (عمّان، ٢٠٠٠)، ص ص ١٥٩-١٦٠.
(٢٠) المصدر نفسه، ص ص١٦١-١٦٢.
(٢١) المصدر نفسه، ص ١٧٠.
(٢٢) المصدر نفسه، ص ص١٧٥-١٨١.
(٢٣) المصدر نفسه، ص ص١٨٢-١٨٧.
(٢٤) أنظر: فيصل الحسيني في الكيلاني وآخرون المصدر السابق، ص ص ١٥٠-١٥١.
(٢٥) المصدر نفسه، ص ١٥٢.
(٢٦) العلاف، خطورة المخطط الصهيوني لتهويد القدس، جريدة الحدباء ١٥ كانون الثاني ٢٠٠١.
(٢٧) العاني، المصدر السابق.
(٢٨) فيصل الحسيني في الكيلاني وآخرون، المصدر السابق، ص ص١٥٤-١٥٨ .